

212158 - المصحف الذي بين أيدينا اليوم هو الذي أجمع عليه الصحابة الكرام

السؤال

هل صحيح أنه كان هناك آيات تُتلى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لم تُضمّن بين دفتي المصحف الذي بين أيدينا اليوم ؟ وهل في ذلك إشارة إلى أن القرآن الذي بين أيدينا ليس نفس القرآن الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وهل بالإمكان شرح الآيات المنسوخة التي لم تعد موجودة في مصحفنا ، فقد سمعت أن هناك آية اسمها آية الرفع ، وأنها كانت جزءاً من القرآن ، ثم تحولت فأصبحت جزءاً من السنة ، ونسخت تلاوتها وبقي حكمها . وإذا كان حكمها ما زال باقياً فما الحكمة من نسخ تلاوتها ، أي كيف يمكن أن تُنسخ تلاوة ، ولا تُنسخ حكماً ؟ وهل يعني هذا أن الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا حول القرآن . وإلا فما معنى أن كل واحد منهم كان عنده نسخة مغايرة لما عندنا اليوم ؟

ملخص الإجابة

وخلاصة الجواب

لم يقع اختلاف بين الصحابة الكرام في المصحف ، والقرآن محفوظ من الزيادة والنقصان ، وإنما ظن بعض الناس وقوع الاختلاف لما رأوا من تدوين بعض الصحابة الكرام تفاسيرهم وشروحهم على مصاحفهم الخاصة ، ولما رأوا أيضاً من صحابة آخرين يثبتون تلك الآيات التي نسخت تلاوتها ، فتوهم بعض الناس - خطأ أو عمداً - أن هذا اختلاف حقيقي بين الصحابة في القرآن الكريم ، وحقيقته أنه ليس اختلافاً من قريب أو بعيد .

الإجابة المفصلة

أولاً :

بداية نود مشاركة السائل المكرم تجربتنا مع مثل هذا النوع من التساؤلات ، فقد وجدنا أن المتسببين بها غالباً أقوام مختصون بتلبيس الحقائق بعضها ببعض ، لإظهار الأمور كأنها سقوط كامل لحقيقة "حفظ القرآن الكريم" ، وأنه لم يعد أحد يهتدي إلى أن المصاحف التي بين أيدينا اليوم هي كلام الله سبحانه أم ليست كذلك . وهذا هو المزلق الخطير .

يدلك عليه فكرة واحدة ، وهي أن تفترض جدلاً أن بعض الآيات والسور التي قرئت زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، لم تثبت في المصحف ، لسبب أو لآخر : فلا يعني ذلك بطلان كل ما نقل إلينا لا قدر الله .

ويدلك عليه أيضاً أن تفترض دائماً أن أي عملية نقل تاريخية هائلة ، كنقل القرآن الكريم ، حيث بلغت آياته الآلاف ، ونقله آلاف الصحابة الكرام أيضاً ، ودون على آلاف الأوراق من اللُخْف [وهي حجارة بيض ، رقيقة ، عريضة ، كانوا يكتبون عليها] ، والجلود والرقاع ونحوها ، فلا بد أن ينقل التاريخ أيضاً وقوع سهو يسير من أحدهم ، أو حوار بين بعضهم ، أو تفاوت سهل بين آخرين ، هذا لا بد أن

يقع ولا شك خلال عملية النقل والحفظ .

وأما التحريف فيقع من أصحاب الأهواء الذين يشوهون الحقائق ، ويلبسون على غير المختصين ، فيجعلون هذه الأمور وكأنها دليل على " تحريف القرآن " ، أو عدم مصداقية نقله .

ويتناسون أن القرآن الكريم نقل لنا - على هذا الوجه الذي بين أيدينا اليوم بالحرف والشكل والرسم - من خلال مئات الآلاف من الأسانيد الثابتة المنتشرة عبر العالم الإسلامي ، وأن نسخ المصاحف المسندة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعد ولا تحصى في مكتبات العالم كله ، ولو أنشئت المؤسسات العلمية الكبيرة لحصر هذه الأسانيد والمصاحف والكتب وجمع أدلة تواتر القرآن الكريم لما أمكنها ذلك .

نحن حين نظن أن ذلك سيؤثر على مصداقية نقل القرآن الكريم ، وعلى دخول النقص والزيادة فيه ، فإننا نهدم جميع موازين النقل العلمية ، ونلغي كل طرق النقل الثابتة ، ونهدم ما ينقل من تراث الأمم وتواريخها ، لأجل رواية هنا أو هناك ، لم نتأمل فيها ، ولم نفهم حقيقتها ووجهها الصحيح ؛ فما من طعن أو نقد أمكن توجيهه هنا ، بغض النظر عن صحته ، وسلامته عند الدراسة ، إلا وأمكن توجيهه أضعافه ، من جنسه أو من غير جنسه ، إلى ما ينقل الناس من الآثار والعلوم والتواريخ والتراث القديم المنقول كله ؛ ثم يسلم لنقل القرآن ، بل والسنة أيضا : من وجوه الثقة والثبات ، ما لم يتهياً لكتاب أو أثر سواه .

ثانيا :

ولعل السائل الكريم يوافقنا العجب والاستغراب ممن يؤمن بأن القرآن كلام الله خالق كل شيء ، والمدبر لأمر كل شيء ، والمبدع لعجائب هذا الكون ، الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما وهو على كل شيء قدير ، ثم رغم ذلك كله يستنكر أن يقضي سبحانه وتعالى بنسخ تلاوة بعض الآيات ، أو نسخ حكمها ، أو نسخ تلاوتها وحكمها معا !!

أليس هو عز وجل منزل تلك الآيات ، والمتكلم بكلماتها الكريمة ، والحاكم بأحكامها المنيفة ، فلماذا لا تتسع العقول والقلوب لتقبل فكرة أن يقضي الله سبحانه بأن تزال تلك الكلمات من صفحات المصحف الشريف ، وتبقى في دائرة كلامه المقدس ، تماما كما أن التوراة والإنجيل هما من كلام الله وأمره ، ومع ذلك نسخهما القرآن الكريم ، وبقيت للقدر الذي لم يحرف منهما : احترامه وتقديره ، باعتباره كلاما لله عز وجل !!

أي ضير في ذلك كله !!

وإذا كنا نرى في الدنيا مثال ذلك - ولله المثل الأعلى - في كل من يكتب كتابا ، أو يؤلف حديثا ، أن ينسخ ما ورد في كتبه ، ويغير نسخها وما جاء فيها . فكيف يمنح هذا الحق للمخلوق الضعيف ، ويراه بعض الناس نقصا في حق الخالق جل وعلا؟! وإذا قال قائل بأن النسخ يعني أن الله يبدو له النقص والخلل في القديم ، فأجرى النسخ على الوجه الجديد .

فيقال له : هذا دليل خلل في استيعاب صورة المسألة أصلا ، فنسخ التلاوة إنما معناه خروج الآية عن وصف " القرآنية " الذي يعني " التعبد بالتلاوة " فقط ، مع بقاء حكمها ، أو نسخ التعبد بالتلاوة والحكم معا ، مع بقاء اعتبارها كلاما لله عز وجل .

ومن المعلوم أن التعبد بأمر ما ، هو - في حقيقته - أمر غير معقول المعنى أصلا ، فكيف يعترض العبد بأن نسخ التلاوة يعني أن الآية تبين فيها نقص أو خلل؟!

وقد سبق في موقعنا في الفتوى رقم : (105746) ، (110237) ، (174796) ، (176972) ، سرد بعض الأمثلة على الآيات المنسوخ تلاوتها ، وإيراد ما بينه العلماء من الحكمة البالغة في هذا النوع من النسخ .

ثالثا :

إذا علمت ما سبق تبينت أيضا أن ما يذكره علماء السنة عن (آية الرجم) التي نسخت تلاوتها وبقي حكمها هو جزء من قضية " النسخ " التي سبق تقريرها وتأصيلها ، وثبت في القرآن الكريم نفسه التأسيس لها ، وذلك في قول الله عز وجل : (مَا نُنسخُ مِنْ آيةٍ أَوْ نُنسخُهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) البقرة/106-107.

وللاطلاع على تفاصيل ما ورد عن آية الرجم يرجى مراجعة الفتاوى الآتية : (111382) ، (179886) .

رابعا :

وهكذا أيضا لم يقع اختلاف بين الصحابة الكرام في القرآن الكريم ، وإنما ظن بعض الناس وقوع الاختلاف بينهم لما رأوا من تدوين بعض الصحابة الكرام تفاسيرهم وشروحهم على مصاحفهم الخاصة ، ولما رأوا أيضا من صحابة آخرين يشبتون تلك الآيات التي نسخت تلاوتها ، فتوهم بعض الناس - خطأ أو عمدا - أن هذا اختلاف حقيقي بين الصحابة في القرآن الكريم ، وحيقته أنه ليس اختلافا من قريب أو بعيد ، وإنما هو كما سبق : شرح وتفسير يدونه الصحابي على نسخته الخاصة ، فحرفه بعض الناس يريدون إيهامنا أنه من القرآن ، أو آيات وسور منسوخة لم يمحصها ذلك الصحابي من نسخته الخاصة به ، ليبقى يستذكرها ويعمل بحكمها ، وهو يعلم ويسلم أنه لا يتعبد بتلاوتها .

يمكنك الاطلاع على تفاصيل هذه الأمور تحت الأرقام الآتية : (178209) ، (195880) ، (197942) .

والله أعلم .